

وعلى الرغم من قلة الدعم المقدم لفصائل "الجيش السوري الحر" أو انعدامه باستثناء بعض الأسلحة الخفيفة، فإنها تحشد قواها حالياً وتتأهب فعلياً لشن هجوم معاكس تستعيد من خلاله السيطرة على المناطق التي فقدتها لمصلحة "قوات النظام وقوات سورية الديمقراطية"، حيث تم الإعلان مؤخراً عن اندماج عدة تشكيلات (**)، في جسم عسكري واحد بقيادة هاشم الشيخ (أبو جابر) القائد السابق لحركة أحرار الشام (٢).

التجاذبات الدولية في حلب:

استطاعت التشكيلات القتالية في حلب عندما كانت تجمعها وحدة الهدف والمعتقد في إسقاط النظام من تحرير مناطق واسعة في المدينة وريفها من "قوات النظام وحلفائه" حتى كادت تصل إلى إعلان حلب محررة بالكامل، إلا أن المتغيرات التي أخذت تطراً تبعاً على واقع التشكيلات القتالية والتجاذبات الإقليمية والدولية نتج عنها تنوع في التوجهات والأهداف الأمر الذي استثمرته تلك الدول المعنية بالمسألة السورية في تحقيق مصالحها.

فمع بداية عقد المؤتمرات الدولية الخاصة بإنهاء الصراع في سورية وما تلاها من جولات التفاوض بين "النظام وهيئات المعارضة السورية المختلفة"، عملت بعض القوى الدولية والإقليمية على إنتاج تنظيمات مقاتلة في الجسم العسكري السوري تخدم أجنداتها الخاصة بعيدة عن أهداف الثورة، الأمر الذي صب في مصلحة النظام بالدرجة الأولى.

وهذا الواقع الجديد فرضَ على "قوى المعارضة والثورة" تحويل جزء من فصائلها القتالية لمواجهة هذه التنظيمات الجديدة التي شكلت حاجزاً يمنعها من تحقيق هدفها في إسقاط النظام، وبالتالي فقد أضحت مدينة حلب ساحة للصراعات تتواجه فيها كل من "فصائل الجيش السوري الحر" و"تنظيم الدولة الإسلامية" و"قوات سورية الديمقراطية الجديدة" المدعومة من الروس والمتهمة بالتنسيق مع قوات النظام، إضافة إلى "قوات النظام وميليشياته" المدعومة أيضاً بالطيران الروسي.

تفاهات كبرى شمال سورية

يبدو أن تفاهات دولية اتفقت عليها الدول الكبرى بعد "التدخل الروسي المباشر" تجسدت نتائجها على الأرض في نقل معارك النظام والروس إلى الشمال السوري، لينتج عنها الواقع الحالي لسير المعارك من خلال دعم دول معينة لتنظيمات تتناغم أهدافها "القريبة ربما" وأفعالها على الأرض مع أهداف النظام وتشير الوقائع إلى:

أ- أن روسيا بالتعاون مع النظام و بالتنسيق مع "قوات سورية الديمقراطية" تعمل على سحب أوراق الضغط من أيدي "فصائل الجيش السوري الحر"، التي يمكن أن تستخدمها المعارضة السياسية في المفاوضات الجارية، كحصارها لبلدتي "نبل والزهراء" وسيطرتها على أجزاء واسعة من حلب العاصمة التجارية والصناعية لسورية.

ب - وجود تفاهات غير معلنة روسية وأمريكية بشأن "المسألة الكردية" حيث أن تنظيماتها المسلحة بما فيها "وحدات الحماية الكردية" التي انضوت تحت اسم "قوات سورية الديمقراطية" المدعومة أمريكياً بالأسلحة، تقوم روسيا بتأمين الغطاء الجوي لها أيضاً، لتحقيق تقدم على الأرض في ريف حلب الشمالي، وخاصة في المناطق القريبة من الحدود التركية. (٣)

ولعلّ روسيا وأمريكا يهدفان من هذا الواقع إلى تحقيق مكاسب ميدانية للأكراد وتهيئتهم كلاعب سياسي لا غنى عنه، خاصة في ظل المفاوضات الجارية التي رفض فيها "وفد هيئة التفاوض العليا للمعارضة المنبثق عن مؤتمر

الرياض" دخول شخصيات سياسية تابعة لتلك التنظيمات، مثل شخصية صالح مسلم رئيس حزب الاتحاد الديمقراطي الكردي .

وهذه الأهداف "الروسية الأميركية تثير حفيظة تركيا التي تشعر بخطر تقدم الأكراد الذين يطمحون بإقامة "دولة كردية" محاذية للمناطق الكردية في تركيا والتي تشكل امتداداً لها.(٤)

وفي هذا السياق هددت تركيا بالتحرك العسكري ضد الأكراد، الأمر الذي وضع الولايات المتحدة في موقف حرج، فهي تعتبر الأكراد لاعبا أساسيا لمحاربة "تنظيم الدولة الإسلامية" التي تشكل تحالفا دوليا لمحاربتة، وبنفس الوقت متحالفة مع تركيا في إطار حلف شمالي الاطلسي.

أبعاد الصراع على حلب

أخذت المعارك بعد "التدخل الروسي المباشر" منحى آخر، خاصة باتباعها سياسة الأرض المحروقة، ونقل معاركها إلى مناطق سيطرة "الحر" في حلب، في ظل صمت دولي وشح دعم "فصائل الجيش السوري الحر" من قبل أصدقاء الشعب السوري.

وفيما لو استمرت الهجمة الشرسة على "فصائل الجيش السوري الحر" من قبل "النظام وحلفائه" من جهة، و"تنظيم الدولة الإسلامية" من جهة أخرى، فإنّ الوضع الميداني في حلب قد يسير إلى رسم خريطة جديدة على الشكل الآتي:

١ - اقتراب "النظام وحلفائه" من حصار مدينة حلب

٢ - فقدان إدلب بعدها الإستراتيجي من الشمال الشرقي وتصبح سهلة العزلة والحصار خصوصا بعد سيطرة "قوات النظام" على ريف حلب الجنوبي (بُعْدُها الاستراتيجي من الشرق) وجبال الساحل (بعدها الاستراتيجي من الشمال الغربي)، فيما يتبقى ريف حماه الشمالي امتدادها الوحيد.

٣ - وفي حال سيطرت "قوات النظام وحلفاؤه" على ريف حلب الشمالي يعني ذلك قطع الطريق الوحيد بين مناطق "فصائل الجيش السوري الحر" ومناطق "تنظيم الدولة الإسلامية" (طريق أم حوش) مما سيؤدي إلى أزمة محروقات كبيرة جدا في إدلب والريف الغربي لحلب، حيث تصل إليهما المحروقات من حقول ومصافي نפט في المناطق الشرقية في سورية.

٤ - وبعد قطع الطريق الوحيد بين مناطق "تنظيم الدولة" ومناطق "فصائل الحر" تكون حدود "تنظيم الدولة" كاملة مع "قوات النظام" من الغرب و"وحدات حماية الشعب الكردية" من الشمال .. مما يتيح للنظام التوغل في مناطق "التنظيم" وحيدا بحجة مكافحة الإرهاب (وهذا أمر يحظى بدعم دولي) وتكون قوى المعارضة المتمثلة "بفصائل الجيش السوري الحر" خارج هذه المعادلة.

٥- وإذا سيطرت "قوات النظام" على ريف حلب الشمالي تكون قد سيطرت منطويا على كامل منطقة عفرين وريفها بحكم "العلاقات الجيدة" كما يبدو بين النظام والقوات الكردية "وحدات حماية الشعب".

٦- وعندئذ يكون "النظام وحلفاؤه" على بعد ٤ كم فقط من معبر باب الهوى في إدلب من جهة جنديرس .. وبالسيطرة عليه تكون كل طرق الإمداد الدولية للمعارضة المتمثلة بفصائل "الجيش السوري الحر" قد تمّ قطعها.

٧- وكل ما ذكر سيؤدي إلى تخويف تركيا وثنيتها عن المتابعة في حماية أمنها القومي، وقد يكون التحذير جدياً بالقدر الكافي لإشعال الحرب.

خلاصة

بعد هذا العرض للواقع الميداني وللصراع المحتدم محليا ودوليا في حلب، يبدو أنّ على حلفاء المعارضة و"فصائل الجيش السوري الحر" (تركيا- السعودية - قطر.. الخ)، إدراك حقيقة أن "قوات المعارضة" ليست الوحيدة المعنية بهذه المعركة (معركة حلب الكبرى).

ولعلّ الحل الأفضل أمامهم، هو دعم فصائل "الجيش السوري الحر" بالشكل الأمثل لإعادة التوازن المطلوب لإنجاح الحل السياسي في سورية، فهو أقل كلفة لهم سواء من الناحية المادية، أو من ناحية المخاطر الجسيمة التي قد يواجهونها فيما لو قرروا القيام بتدخل عسكري مباشر لتحقيق ذلك.

الهوامش والمصادر:

** الفصائل المشاركة حتى الآن في التشكيل المعلن عنه هي "حركة نور الدين الزنكي" و"صقور الجبل" و"الفرقة ١٦" و"اللواء ١٠١" و"الفوج الأول" و"حركة أحرار الشام" و"تجمع فاستقم" و"لواء السلطان مراد" و"لواء المنتصر بالله" و"لواء اليرموك" و"ثوار الشرقية".

(١) المدن ، تعديلات جوهرية على خريطة السيطرة العسكرية ، خالد الخطيب ، الجمعة ١٢ / ٢ / ٢٠١٦ م .

<http://goo.gl/qL1KGY>

مصدر - فصائل في حلب تباعق قائداً واحداً لتنسيق العمل العسكري، الكاتب مصدر - الثلاثاء ١٦ / ٢ / ٢٠١٦ م . (٢)

<http://goo.gl/AuMoz4>

(٣) الدرر الشامية ، تخوُّف إيراني من الدعم الروسي للأكراد بسوريا - الأحد ٢٤ يناير ٢٠١٦ م .

<http://eldorar.com/node/93952>

(٤) الدرر الشامية ، التدخل السعودي التركي - الخميس ١٨ فبراير ٢٠١٦ م .

<http://eldorar.com/node/94815>